

## عظة قداس افتتاح السنة الدراسية الجديدة

لوقا ١٠: ١٦-٢١

بسم الأب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين...

يقول الرب في الإنجيل الذي سمعناه اليوم يا أحبّة، إنّ الله هكذا أحب العالم فيذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية. هذا الكلام يجعلنا نتوقف ونتذكر بأن الله لا يريد أن يهلك أحد بل أن يخلص الجميع، أن يخلص الجميع وكأن هذا تذكير أو دعوة لنا جميعاً... لكل واحد منا بمفرده... أن يتذكر أن الله أحبه وبذل ابنه الوحيد من أجل خلاصه. ولهذا يقول من آمن به، أي بالابن الوحيد، لا يُدان. ويشرح الرب ويقول إنّ هذه هي الدينونة، أي أن النور، أي الابن الوحيد جاء إلى العالم والناس أحبوا الظلمة أكثر من النور. الحديث هنا عن النور، وهو ما أريد أن أتوقف عليه قليلاً. إن النور في إيماننا نحن المسيحيين نقطة أساسية جداً ونقطة مهمة جداً. نقطة مهمة جداً لأن الله هو النور، لأن الله هو النور الحقيقي، والجميل في هذا النور أنه هو النور الذي يُنير كل إنسان أت إلى العالم. هذا النور ليس من أجل نفسه، هذا النور موجود كي يُضيئنا نحن. ولهذا قال الرب أنتم نور العالم، وفي موضع آخر أنا هو نور العالم. وهذا يجعلنا في حيرة! كيف يقول الرب أنا نور العالم وفي موضع آخر يقول أنتم نور العالم. هو النور الحقيقي الذي يُنير ويقّس ومن يستنير بنوره فإنه يتجلى ويتحول إلى نور من نوره فيشع أيضاً من نوره هو وليس من نوره الشخصي بل من ذلك النور الإلهي. وهنا نتذكر كلنا أنّ هذا ما نقوم به في يوم انتمائنا إلى جسد المسيح عندما نقبل الأسرار الإلهية في سر المعمودية والميرون والإفخارستيا الإلهية. في بداية المعمودية يُطلب من المزمع أن يعمد أن يتّجه نحو الغرب وان يُعرب عن رفضه للظلمة (لإبليس) ولكل أعماله ويقول نعم أرفض الشيطان وكل أباطيله وكل أعماله. ثم يتّجه نحو الشرق، نحو النور الحقيقي، الرب يسوع، ويُعرب عن موافقته للمسيح ويقول إني أوافق المسيح وإني أؤمن به. والمعمودية هي استنارة، ولهذا بعد التغطيس الثلاثي يقول الكاهن المعمد للمستنير جديداً: لقد اصطبغت، لقد استنرت. المسيحي هو ذلك الذي آمن بالسيد والسيد هو النور الحقيقي وهو الذي قال سيروا ما دام لكم النور، وطالما أنه هو النور الحقيقي وهو الإله الباقي إلى الأبد فنحن نسير بعزم يقين وبقوة وثبات ووجهنا نحو السيد كي نسلك في النور ونصبح أبناء النور كما سمعنا في الإنجيل المقدّس الآن. الناس أحبوا الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة، لأن كل من يعمل السيئات يُبغض النور ولا يُقبل إلى النور لكي لا تُفضح أعماله. نعم إنّ الناس الذين يريدون الإثم والخطيئة لا يحبون النور لأنهم يفتضحون بالنور، يراهم الآخرون يفضّلون الظلمة على النور وعند ظنهم أنهم يستطيعون في هذا الظلام أن يحققوا رغباتهم ونزواتهم وما يريدون من إثم أو خطيئة. أما الذي يعمل الحق فإنه يُقبل إلى النور لكي تظهر أعماله أنها بالله معمولة. نعم، الذي يعمل الحق يسلك في النور وهو يسلك في النور كي لا يعثر لأن النور الذي يسلك فيه هو الذي يحفظه وهو لا يعثر لأن النور يعطيه القوة كي لا يعثر وليس لأنه قوي، لذلك يلجأ إلى النور ويطلب النور ويريد أن يكون في النور لكي لا يعثر بل أن يحيا الله وأن يُرضي الذي جنده في يوم معمديته. وهنا نستطيع أيضاً أن نتوقف ونتذكر ونتأمل في الرب وهو يتكلّم عن النور: من آمن بابن الله الوحيد لا يُدان، الرب أتى لا لكي يهلك أحد بل لتكون الحياة الأبدية للذين يؤمنون به، وهو يتكلّم عن الإيمان به، عن الحياة الأبدية، عن الخلاص... يتكلّم عن النور. إنّه يتكلّم عن النور كي لا يكون هذا الحديث كلاماً

نظرياً، كلاماً فلسفياً، كلاماً يعتقد الناس أنه أفكار جميلة وحلوة تخصّ العقل. لا يا أحماء، فمباشرة يقول: وهذه هي الدينونة... صار يتحدث بطريقة عملية حياتية لأن ما نؤمن به هو حياة نحن نعيشها. هذه هي الدينونة، أن النور جاء إلى العالم والناس أحبوا الظلمة أكثر من النور. من يعمل السيئات (يوجد عمل إذاً) من يعمل السيئات يبغض النور ولهذا يُدان. نحن نقول أنا نؤمن بالسيد. أنا أؤمن بالسيد. أنت تؤمن بالسيد وتكون لك الحياة الأبدية إذا آمنت به، ولكن هذا إن ابتعدت عن السيئات وإن جعلت من نفسك آلة لا للثم ولا للخطيئة بل أن تفعل الحق وعندما تفعل الحق دون السيئات فإنك آنذاك تحيا للنور وتكون في النور والنور يقُدّسك وتكون لك الحياة الأبدية في أحضان الله في فردوس السماوات. ومن يعمل الحق ومن يبغض السيئات يا أحبّة يترجم ذلك في كل عمل في حياته. يقول إن أكلتم أو شربتم ومهما فعلتم ففي المسيح يسوع. عندما نتكلم عن النور نتكلم عن القيامة وعندما نتكلم عن النور نتكلم عن البياض عن الجمال عن النور وليس عن الظلمة. لا اعتقد أن الإنسان يكون في النور ويكون على سبيل المثال فقط قلبه في النور أو عقله في النور، فالإنسان الذي يحيا بالنور يكون بكليته بالنور بجملته بالنور بأحاسيسه بأعضاء جسده بكل ما يقوم بكل ما يتصرّف بكل ما يتكلم بكل ما ينطق، في كل آن، في كل زمان، في كل لحظة يسعى، يسعى بنعمة الله أن يكون في النور. اسمحو لي بكلام آخر أن أقول إن من يريد أن يكون في النور فإنّ الغرفة التي يعيش فيها تكون شيئاً من هذا النور، فتكون مرتبة ونظيفة وليست مظلمة وقائمة وغير لائقة. يكون طعامه ولباسه أيضاً مجبول بالنور ويكون أينما سلكننا وأينما حللنا فبترتيب ولياقة لأننا أبناء النور. نترجم هذا النور في حياتنا في طعامنا في لباسنا في غرفنا في الأمكنة التي نكون فيها، في درسنا، في صلواتنا، في ذهننا، في عقلنا، في قلبنا، في كل حاسة من حواسنا، كل الإنسان يتبدّل يتحوّل يتغيّر يستتير وبنعمة النور الحقيقي يُنير ويقُدّس حتى الطبيعة غير الناطقة فيتجلى الكون آنذاك بأسره ويتمجدّ الله. ولهذا نحن نرتل ونقول إنّ الشمس والقمر والفلك والنجوم كلّها تقم التسبيح للرب. نعم، عندما يقُدّس الإنسان، عندما يستتير الإنسان ويستتير فقط و فقط من ذلك النور الحقيقي الذي يُنير ويقُدّس كل إنسان أت إلى العالم، إذا شاء هذا الإنسان، لأنه يستطيع أن يفض هذه القداسة وهذا النور، إذا شاء يقُدّس بذاك النور الحقيقي وعندما يقُدّس يكون فيه سلام الله وعندما يحل سلام الله فيه يكون في ملكوت السماوات، في الأخدار السماوية مع السيدة العذراء ومع جميع الذين أرضوا الرب بجانب ذلك الذي أعطانا ذاته حباً من أجل خلاصنا يتنعم بنور جماله الذي لا يغرب، هو المبارك وهو الممجّد إلى الأبد، آمين.